Ta'lim al-'Arabiyyah: Jurnal Pendidikan Bahasa Arab & Kebahasaaraban 5 (1): 1-15 (2021)
DOI: 10.15575/jpba.v5i1.12848

Ta'lim al-'Arabiyyah
JURNAL PENDIDIKAN BAHASA ARAB & KEBAHASAARABAN
P-ISSN: 2721-5237 | E-ISSN: 2549-208X // Vol. 4 No. 1 | 1-15
https://journal.uinsgd.ac.id/index.php/Talim/index

Wāqi'iyyah Al-Adab Al-Islāmī Bayna Al-Naẓariyyah wa Al-Taṭbīq

و اقعية الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق

Barakat Mohamed Ahmed
The University of the Holy Quran and Taseel of Science
Corresponding E-mail: abufreida100@gmail.com

ملخص البحث

ينطلق هذا البحث من وجود تشابك النظرة الواقعية للشعر العربي في العصر الحديث. قام بدراسة لمعرفة آثار هذا التشابك على تطور الشعر العربي، واختص دراسته على واقعية الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق. يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، ويتكون هيكل هذه الدراسة من مقدمة وعدد من المباحث تتخللها مجموعة من المطالب، ومن أهم النتائج التي توصل إليها: خطورة النظرة الواقعية الغربية على تعاليم الدين الإسلامي السمحة ولابد من الالتزام بالواقعية الإسلامية لأنها ضد الخيال، وما يستدعيه من مواقف عاطفية.

الكلمات المفتاحية: واقعية، أدب إسلامي، نقد أدبي.

ABSTRAK

Terdapat perbedaan pandangan dalam aliran realisme pada sastra yang diterapkan pada syair Arab di era modern. Penelitian ini dimaksudkan untuk mengetahui efek perbedaan pendapat terhadap perkembangan syair Arab, khususnya studi sastra islami terhadap aliran realisme dari segi teori dan praktik. Penelitian ini didasarkan kepada metode deskriptif-analitik yang disusun dari mukadimah hingga pembahasan-pembahasan lainnya. Adapun hasil penelitian yang ditemukan adalah terdapat pemikiran-pemikiran yang berbahaya dalam aliran realisme barat dalam pengajaran agama Islam, karena posisinya bertentangan dengan aliran realisme islami dan melawan imajinasi karena tidak memunculkan unsur-unsur emosi.

Kata Kunci: Aliran Realisme, Sastra Islami, Kritik Sastra

المقدمة

تعدُّ الواقعية من أهم المذاهب الأدبيَّة النقديَّة في العصر الحديث، والتي جاءت كرد فعل ومقابل للمذاهب الرومانسي والمذهب الأخري، ومن هذا المبدأ جاء هذا البحث يتناول المذهب الواقعي بين النظرية والتطبيق، وهل هذا المذهب موجود حقا في الشعر الإسلامي، أم وجوده مجرد نظرية.

يكتسب البحث أهميته من موضوعه ألا وهو موضوع الواقعية الذي يتعلق بحياة الناس وآمالها وآلامها وطموحاتها، وخطورة النظرة الواقعية الغربية على الإسلام وتعاليمه السمحة.

تكمن مشكلة هذا البحث في محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة: (١) هل المذهب الواقعي موجود حقا في الشعر الإسلامي، أم وجوده مجرد نظرية؟ (٢) ما مفهوم الواقعية؟ (٣) متى نشأت الواقعيّة؟ وكيف تطورت عبر التاريخ؟ (٤) ما هي أهم خصائص المذهب الواقعي؟

تتمثل أهداف البحث في الآتي: (١) تحديد مفهوم الواقعية، (٢) دراسة نشأة الواقعية مع بيان أهم خصائصها، (٣) معرفة المنظور الإسلامي للواقعية، (٤) تحليل نموذج للواقعية من القرآن الكريم.

منهج البحث

هذا البحث يعتمد على المنهج الوصفي التحليلي. حيث إنه يحلل تحليلا وصفيا لتشابك على التطور الشعري العربي. ولا سيما في واقعية الأدب الإسلامي وبين النظرية والتطبيق.

محصولات البحث ومناقشتها

مفهوم الو اقعية

يُفيد الفعل الثلاثي "وَقَعَ"، واشتقاقاته "يقع، وقعًا، ووقوعًا": السقوط، وإنزال الشيء على الشيء، وهذا ما يفيده في الكلام حقيقة، كأن تقول: وقع الطير على أرض أو شجر، أو وقع المطر على الأرض، أو وقعت الدواب؛ أي: ربضت على الأرض... إلخ (مجمع اللغة العربية،

Vol. 5 No. 1 | 1-15
Copyright © 2021 Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2721-5237, E-ISSN: 2549-208X

١٩٩٢، صفحة ٦٧٨)، أما في الاستخدام المجازي، فَوَقَعَ تفيد حصول الشيء وثبوته كالقول: وقع الحق؛ أي: ثبت، ووقع الحق عليه؛ أي: ثبت، ووقع في الشرك: حصل فيه، الواقعة أي: النازلة، ووقائع؛ أي: نوازِل، وقال الراغب الأصفهاني: "ولا تقال إلا في الشِّدَّة والمكروه".

والواقع له دلالة مرتبطة بفعل "وَقَعَ" في اللغة أي: ما حَصَلَ وتَعَيَّن، وأصبح عيانًا منظورًا، أو خبرًا مُتَحَصِّلاً لواقعة أو نازلة أو حدث، وهو بذلك وقع في زمن محصور وغير ممتد، فالحاصل يقال له أمر واقع، والنازلة من صروف الدهر والمصادمة وهي اسم من الوقعة بالحرب وهي الصدمة بعد الصدمة (الأصفهاني، ١٤١٢ هجري، صفحة ٨٨٠).

يقول نبيل راغب (٢٠١٥): "ينسب المذهب الواقعي إلى الواقع المعيش لمجتمع الأديب، بمعنى أن يكون أدبُهُ صورةً حقيقيةً لما في مجتمعِهِ، أو ما يتخيله موجوداً في مجتمعه وإن لم يكن موجوداً حقيقة فيه، ولكن بشرط أن يكون وجوده ممكناً فيه، لم تبدأ الواقعية بتقليد النماذج الأدبية القديمة، ولكنها بدأت بتقليد الواقع وتقديم صورة فوتوغرافية له، فالأديب الواقعي لابد أن يستقي مضمونه من الواقع المعيش، بصرف النظر عن إحساساته الشخصية تجاه هذا المضمون،لأن مهمته تتركز في تقديم الواقع إلى القارئ في حيادية وموضوعية كاملتين، أي أن قلم الأديب الواقعي لا يختلف عن عدسة المصور الذي لا يفعل شيئاً سوى اختيار المنظر، فهو مجرد أداة توصيل بين المنظر أو المضمون وبين المشاهد أو القارئ....".

ومن ذلك تأكد للباحث أن: الواقعية تقوم على ملاحظة الحياة وتسجيلها كما هي وتعنى أن يحصر الإنسان جهده في اختيار المشهد الذي يروقه بتصويره، ثم يضيف إلى ذلك أن المناظر التي تحظى باهتمام عدسة الأديب الواقعي هي تلك التي تنبثق من مشكلات عامة الناس وقضاياهم، وتبرز مظالمهم ومآسيهم؟

نشأة خصائص الو اقعية

نشأة الواقعية كدعوة بدأت في أواسط القرن التاسع عشر رداً كرد فعل على الدعوة الرومانسية التي أفرطت في الخيال والأوهام والأحلام والانطواء على الذات والهروب من الواقع الاجتماعي والانزواء في الأبراج العاجية وانصرفت عن معالجة شجون الإنسان جراء صراعه اليومي في مجتمعه الصاخب، والواقعية في الترتيب الرابع في سلسلة الدعوات التي نشأت بعد عصر النهضة تأتي في المكان بعد دعوة الإنسانيين ودعوة المحدثين السلفيين ودعوة الرومانيين أو المجازيين (راغب، ٢٠١٥، صفحة ٣٥).

Copyright © 2021, Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2615-7241, E-ISSN: 2721-480X

ولعل هذا المنهج الصارم الذي طبقه نقاد الواقعية من التزامهم الدقيق بتصوير الواقع حقيقة، وهو السبب في اندلاع الثورة الرومانسية التي حطمت كل هذه القوال، فلم يكن للأديب الواقعي أن يطلق العنان لخياله، لأنه عليه تصوير ما يراه من مناظر وشخصيات حوله، وعليه أن يعـالج الأحداث الجارية والمعاصرة والتقاليد والعـادات التي تؤثر في سلوك الناس وتفكيرهم، وأن يرصد التفاصيل الدقيقة للشخصيات والمواقف مهما كانت تافهة أو ذات ارتباط بالخط الأساسي للعمل الأدبي " (راغب، ٢٠١٥، صفحة ٣٩).

وقد كان الشعر العربي في بدايته في العصر الجاهلي كله واقعياً لأن الشاعر يستمد كل موضوعات شعره المختلفة من واقعه المعيش وبيئته المحيطة به وكذلك كل معانيه وصوره البيانية والخيالية، فكثيراً ما نجد في الشعر العربي القديم صوراً لحيوان الصحراء وقصصاً تدار حوله وكلها من نسج خيال الشاعر الذي ربما يكون قد نظم قصيدته في داره، ولم يشهد تلك المشاهد التي وصفها في شعره، لعّل هذا واضح في وصف امرىء القيس لفرسه وهذا أشار لحقيقة قدم هذا المذهب وغيره، ثم لمّا طرأت هذه المذاهب الجديدة في الشعر العربي من رومانسية ورمزية وسريالية مَلَّها بعضُ الأدباء المعاصرين فمالوا إلى هذه الواقعية القديمة، وقذلك حتى يكون للشاعر دوره في مجتمعه، فيتطرق لقضاياه التي تشغله، ويكون له دور في حل مشاكله، وذلك من خلال نتاجه الأدبي نثراً أو شعراً،على ألا يكون هذا الهدف هو غاية ما يهتم به الأديب، فيتجاهل المقومات الأدبية الأخرى فيضعفها، فيكون العمل الأدبي مجرد وعظ وإرشاد (إبراهيم، ٢٠٠٨، صفحة ١٨١).

ومع أنّ الواقعية قد ظهرت مصاحبة لنشأة الشعر العربي إلا أن بعض النقاد العرب المحدثين قد عدوها من المذاهب الأدبية التي وفدت إلى الأدب العربي من الغرب، ومنهم عبد الرزاق الأصفر الذي يقول: " فالواقعية الأدبية هي تصوير مبدع للإنسان والطبيعة في صفاتها وأحوالها وتفاعلهما، مع العناية بالجزيئات والتفصيلات المشتركة للأشياء والأشخاص والحياة اليومية، ولو كانت تفصيلات مبتذلة وكل ذلك ضمن الإطار الواقعي المألوف. إنه واقع لا يشترط فيه الأمانة والصدق في النسخ بل كل ما يشترط فيه "الصدق الفني" وبهذا يتحول الكاتب إلى فنان مبدع لا إلى نساخ أو كاتب تقرير..." (راغب، ٢٠١٥، صفحة ١٣٤). في العصر الحديث ظهرت الواقعية في معظم شعر المدرسة التقليدية، وفي كثير من شعر المدرسة التجديدية والحديثة، هذه إشارة لتداخل الخصائصَ الفنية بجميع المدرسة الأدبية.

Vol. 5 No. 1 | 1-15
Copyright © 2021 Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2721-5237, E-ISSN: 2549-208X

إن الواقعية لا يشترط فيها الأمانة والصدق في النسخ بل كل ما يشترط فيها "الصدق الفني" وبهذا يتحول الكاتب إلى فنان مبدع لا إلى نساخ أو كاتب تقرير.

أهم خصائص الشعر الواقعية

يمتاز الشعر الواقعي بسماتٍ وخصائصَ جعلته مختلفاً عن غيره، من هذه السمات (راغب، ٢٠١٥، صفحة ١٣٥):

١. نبذ الذاتية والتوجه بالعاطفة نحو الآخرين والمجتمع، وذلك في مواجهة ما دعت إليه الرومانسية الغربية، فحصرت الأديب في دائرة ضيقة لا تتعدى عواطفه المتعلقة بأموره الشخصية والخاصة به، وصرفته عن مجتمعه وما يجري فيه من أحداث.
٢. نبذ الهروب إلى العوالم الخيالية ومواجهة الواقع، وأيضاً دعوة مضادة لما دعت إليه الرومانسية، وذلك لما رآه الواقعيون من عدم جدوى ذلك الهروب.
٣. جعلوا للشعر دوراً ووظيفةً تتمثل في معالجة القضايا الاجتماعية، والتحرر من الاستعمار، وطلب الحرية، وهذا ما يناهض دعوة المذهب البرانسي الذي يرفع شعار (الفن للفن) ما يجعل الفنان أو الأديب يولي كل همِّه لتجويد فنه فقط غير متقيدٍ بقيود المجتمع أو العقيدة أو غيرها فكان شعار الواقعيين (الفن للحياة) فهم يجعلون للفن دوراً في الحياة ومع ذلك يهتمون بعناصر الأدب الفنية (هلال، ٢٠٠٨، صفحة ٣٨٥).
٤. كل ما وافق الواقع المعيش لمجتمع الأديب يعد مطلباً للواقعيين وإن كان من خياله ولا وجود له في الواقع ومن هنا فهم يعولون على استنباط واستحياء الصور البيانية من ذلك الواقع المعيش.

تداخل الخصائصَ الفنية لجميع المدرسة الأدبية قد نجد سمات واقعية عند شعراء تقليديين وأخري واقعية عند تقليديين. وتأكد للباحث الآتي:

أنَّ أصحاب المذهب الواقعي جعلوا للشعر دوراً ووظيفةً تتمثل في معالجة القضايا الاجتماعية، والتحرر من الاستعمار، وقد حصر الأديب في دائرة ضيقة لا تتعدى عواطفه المتعلقة بأموره الشخصية والخاصة به، وصرفته عن مجتمعه وما يجري فيه من أحداث، فالشعر عندهم غير متقيدٍ بقيود المجتمع أو العقيدة أو غيرها والشعراء يعولون على استنباط واستحياء الصور البيانية من ذلك الواقع المعيش.

Copyright © 2021, Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2615-7241, E-ISSN: 2721-480X

تطبيقات في المذهب الو اقعي

في هذا الجزء من البحث يتعرض إلي تطبيقات عن المذهب الواقعي ليتأكد وجود هذا المذهب من عدمه، ويتناول في تطبيقاته الآتي:

١. نظرة الإسلام للواقعية الغربية.
٢. الواقعية من منظور الاشتراكيين.
٣. الواقعية في المنظور الإسلامي.
٤. نموذج للواقعية في القرآن الكريم.

نظرة الإسلام للو اقعية الغربية

في البداية نُجيب على هذا السؤال: هل الواقعية ترفض الإيمان؟ لنقف كذلك عند مسألة أخرى... فإذا كانت الواقعية الغربية بأنماطها كآفة تقف عند حدود المحسوس والمنظور وترفض الإيمان بما وراءهما، فيما ينعكس بالضرورة على منظومة القيم الفنية للواقعية، فإن الواقعية الإسلامية تنطوي - بقوة العقيدة - على المرئي وغير المرئي، على الظاهر والغيب، على المنظور والمحسوس وما وراءهما، فيما ينعكس -بالضرورة- هو الآخر على منظومة القيم الفنية للواقعية الإسلامية.

وإننا لنتذكر هنا الكلمات المعبرة التي وصفها بها "ديمين كرانت" حيث يقول: "من المؤكد أن كلمة الواقعية بما يبدو عليها من استقلال عن أي وصف يتعلق بالمحتوى أو بالنوع، وما تتصف به من مطاطية جموح، هي معجزة يشعر كثير من الناس أن بوسعهم الاستغناء عنها ". كما نتذكر العبارة الساخرة التي أطلقها عليها الشاعر الأمريكي المعاصر "والاس ستيفنز" (١٨٧٩-١٩٥٥م) من "أن الواقعية هي إفساد للواقع".

قد يرجع السبب إلى أن هذا المذهب دون غيره من المذاهب يريد أن يتعامل مع الواقع بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وبما أن الواقع في المنظور الوضعي مسألة نسبية قد تشمل الذات وقد تقتصر على الموضوع، وقد تمتد لكي تشمل العالم والكون على امتدادهما، وتضيق لكي تنحصر في عملية نقل فوتوغرافي شيئ لشريحة اجتماعية أو جزء من شريحة أو فئة محدودة من الناس، فإن لنا أن نتصوّر كيف تستحيل أية محاولة تسعى للتنظير للواقعية، أو تفسر معطياتها الإبداعية على أن تمرّ من هذا المعنى المحدّد أو ذاك، وتلتزم التحرك عند هذه المساحة المحدودة أو تلك.

Copyright © 2021 Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2721-5237, E-ISSN: 2549-208X

إن الواقعية مذهبٌ أدبيٌّ فكريٌّ ماديٌّ ملحدٌ، يصور الحياة كمادة ويرفض عالم الغيب ولا يؤمن بالله، ويرى أن الإنسان عبارة عن مجموعة من الغرائز الحيوانية ويتخذ كل ذلك أساساً لأفكاره التي تقوم على الاهتمام بنقد المجتمع وبحث مشكلاته مع التركيز على جوانب الشر والجريمة والميل إلى النزعات التشاؤمية وجعل مهمة النقد مركزة في الكشف عن حقيقة الطبيعة كطبيعة بلا روح وبلا قيم، ومن هنا كانت آثار هذا المذهب الأدبي المدمرة على الشباب المسلم إذا لم يضع هذه الأمور في حسبانه وهو يتعامل مع الإفرازات الأدبية لهذا المذهب.

وتبين للباحث الآتي: وفي الحالتين أو المثلين اللذين ضربناهما، تنزاح الواقعية الإسلامية عن حافات التصوّر ومقولاته باتجاه شبكة من اللمسات أو البنى الفنية التي تشكل المعادلات الموضوعية للأفكار على المستوى الفني والجمالي، والحق أنه ما من مذهب أدبي، كالواقعية، تعرّض للأخذ والردّ، والضيق والامتداد، وللجدل المتواصل حول مضامينه، وأبعاده النهائية. فالمذاهب التي سبقته كالكلاسيكية الجديدة والرومانسية، والتي عاصرته وأعقبته، كالرمزية والسريالية والبرناسية والانطباعية والتعبيرية والوجودية والعبثية والمستقبلية.. إلخ. لم تجد من قلق التفسير ومتغيرات التنفيذ الإبداعي عشر معشار ما شهدته الواقعية.

وتتلخص النظرة الإسلامية في الواقعية الغربية في الآتي:

أولاً: إنّ مهمة الأديب الواقعي لا تزيد على عدسة المصور، فهو يبحث عن المنهج الذي يروقه، ثم يقوم بتصويره، ويبدو تفننه وتفوقه في براعة اختيار المشهد، والإبداع في تصويره. الأدب الإسلامي لا يقف عند حدود تصوير الواقع والإبداع فيه وإنّما يهدف من وراء ذلك إلى اختيار المشاهد الخيرة، والإبداع في تصوير ما فيه من خيرٍ بغيه تحبيبه إلى النفوس، وتعليقها به، واختيار المشاهد الشريرة، والإبداع في تصوير ما فيها من شر بغية اقتلاعه من القلوب وتكريمها به، وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يستطيعهما إلا الملم بالواقع خيره وشره والحادب على دينه.

ثانياً: إنّ الواقعيين على اختلاف اتجاهاتهم يدينون بأنه " لا إله، وأن الحياة مادة " ولا يؤمنون بما وراء الطبيعة. والأديب الإسلامي يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأنه ربّ السماوات والأرض، وربّ العرش العظيم. هذا هو مذهب الشيوعية العقدية الخطيرة المشاقة والمناوئة للدين الإسلامي والفطرة السليمة.

Copyright © 2021, Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2615-7241, E-ISSN: 2721-480X

ثالثاً: الواقعيون يدينون بالنظرة الفلسفية التي تقول: إنّ الحياة قد بنيت على الشر وأن ما فيها من مظاهر ليس إلا طلاءً زائفاً يموه واقعها، ويخفي حقيقتها، والمسلم يرفض هذه النظرية أيضا كما رفض النظريتين السابقتين؛ ففي الحياة الخير الجزيل الأصيل الذي يفيض عليها الطمأنينة والرضا والمرحمة، وفي الحياة الشر المستطير الذي يقاوم هذا الخير ويناضله، إنّ الإسلام بخاصة والأديان السماوية عامة إنما جاءت لتكافح الشر وتناضله وتعزز الخير وتؤازره لا كما يعتقد ويتوهم هؤلاء.

رابعاً: أرباب هذه المذاهب قد حولوا مبادئهم هذه إلى أعمال أدبية شوهت صورة الإنسان والإنسانية، وعبثت بالقيم والمثل، وألحت في دعوة الشباب إلى التحلل من الأخلاق إذا أرادوا التفوق والنجاح، ثم زعموا بأنّهم إذا دعوا إلى ذلك ليفتحوا عيون الشباب المغمضة، ويبصروهم بالحقائق التي تخفى عليهم.

المسلم يرفض ذلك أشد الرفض، ولا غرو فمتى كانت الخسة ذكاءً وعبقرية والدناءة هدفاً ومطمحاً، والتسلل على الناس كالوباء مسلكاً يدعو إليه الداعي، وينادى به الأدباء وكيف يحق للأديب –مهما كانت مقاصده – أن يدعو الشباب وهم في عمر الورد إلى تلوين أيديهم بالخسة إذا أرادوا الثراء، وإقناعهم أنه لا فائدة ترجى من العفة، ولا منفعة تتحقق من النبالة والشرف، وهل من حق الأديب أن يقول للناشئة من الشباب: إذا أردتم أن تبلغوا الثراء فلا بد لكم من أن تلوثوا أيديكم، وكل ما عليكم –بعد ذلك – هو أن تعرفوا كيف تغسلونها (الباشا، ٢٠٠٤، صفحة ٤٩).

خامساً: إنّ الشباب الذين يقرؤون هذا الأدب فريقان: فريق قد تأبّتْ عليه عزته وكرامته وسمو أخلاقه أن يسلك هذا المسلك المشين، فيعروه اليأس من الحياة، ويحلّ به القنوط من تحقيق آماله فيها؛ فينطوي على نفسه وينهزم هزيمة نكراء. وفريق يدفعه الطموح وحب الذات، والرغبة الملحة في بلوغ الثراء الفاحش من أقصر السبل، فيسلك المسالك المشينة التي زينها له الأديب، وأغراه بها والإسلام لا يحب اليؤوس القنوط، وهو في الوقت نفسه يكره الذين يحبون المال حباً جماً، ويكافح الذين يسعون للحصول عليه من أحط السبل (الباشا، ٢٠٠٤، صفحة ٥٠).

Vol. 5 No. 1 | 1-15
Copyright © 2021 Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2721-5237, E-ISSN: 2549-208X

الواقعية في منظور الاشتراكيين

هي واقعية ممسوخة في حقيقتها لأنها تأخذ في حسبانها الوجه المنظور للإنسان، وترفض الاعتراف بالوجه الآخر غير المنظور "الوجه الروحي" وهي في هذا تتساوى في الجهل مع من يرفض الاعتراف بوجود وجه آخر للقمر لأنه لا يراه بعينيه (ساعي، ١٩٨٥، صفحة ١٧).

وحين ظهرت الدراسات الأولى عن الواقعية الإسلامية في العصر الحديث تشعبت السبل واختلفت الآراء حول هذا التوجّه، وأبدى كثير ممن يحمل هذا الفكر ويؤمن به آراءه فيه، فمنهم من أخذ الواقعية مذهباً فنيّاً يعبر عن ذاته ومكنوناته متأثراً في ذلك بمرجعيات الواقعية الغربية، ومنهم من لم ينفك عن التماس الفضيلة والأخلاق في الأدب في نثره، كما في شعره. ولم يكن النقاد بمعزل عن ذلك، فقد كان علي الجارمَ يحكُمُ إبداعَهُ مذهبٌ نقديٌّ يؤمن به،وهو أن للفن غايةً خلقية، وهو اتجاه كان يصطدم بقوة مع مذاهب أخرى، بدأت تعرفها الحياة الأدبية العربية، وافدة إلينا من وراء البحار.مذهب "الفن للفن"، ينكر أن يُعنى الأدباء بالنواحي الاجتماعية والسياسية،أو أن يوظف الشعر لتمجيد البطولات والمعتقدات ؛لأن الأدب الإبداعي، شعرًا كان أو نثرًا،لا يأبه بالموضوعات الأخلاقية، ولا يشرف بالمواعظ والحكم، وإنما غايته الجمال فحسب، وفي مواجهته مذهب آخر، حطَّ رحاله في مصر خلال الحرب العالمية الثانية، مع بعض العائدين من فرنسا بالذات، وهي " الواقعية الاشتراكية " يتجاوز بها دعاتها مبدأ تصوير الواقع الذي تعرفه الواقعية النقدية منذ القرن الماضي، ويرون الفن سلاحًا في معركة الصراع الطبقي. ومن الواضح أن الجارم رفض تطبيق المذهبين، فهو يؤمن بأن للفن رسالةً جمالية، ولكن الغايةَ الخلقية قمة هذا الجمال، ويراه سلاحًا من أجل التحرر والاستقلال وعدم التبعية، ولكنه يرفض أن يقيده بمصلحة طبقة دون غيرها (الجارم، صفحة ٥).

وقد كان هذا المفهوم الواقعي هو محور المحاضرة التي ألقاها في مؤتمر الأدباء الثاني بدمشق بدر شاكر السيَّاب حين قرر أن الأدب الخالد هو الذي يصور محاربة الإنسان للشر، والشر اليوم قد تبلور في الاستعمار وقواه وفئاته. وأبان السيَّاب عندما سئل عن الواقعية ذاكراً أنها اتجاه يندرج تحت لوائه شعراء من شتى المدارس الشعرية فكل من استحق اسم شاعر يمكن أن يسمى واقعياً. وأكد انه من دعاة الأدب الواقعي الملتزم. ثم قسم الأدب العربي إلى ثلاثة أقسام: واقعي ومحايد ومنحل، والأخير نوعان: نوع يدعو الناس إلى الهزيمة ونوع

Copyright © 2021, Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2615-7241, E-ISSN: 2721-480X

ماجن داعر؛ والشعر الواقعي هو الصالح للبقاء وهو يفرض نفسه على الناس تلقائياً (عباس، ١٩٧٨، صفحة ٢٤٠).

إنَّ بعض الباحثين يرون أن الواقعية الاشتراكية ممسوخة في حقيقتها لأنها تفرض الوجه الروحي وهذا ما اتضح في بداية المذهب ولكن هذا القول ليس على إطلاقه كما يرى الدكتور احمد بسام في موضع آخر أنّ الواقعية الإسلامية يمكنها أن تلتقي مع الواقعية الاشتراكية في جوانب ظاهرية متعددة، فالواقعية الإسلامية يمكنها أن تلتقي مع الواقعية الاشتراكية في جوانب ظاهرية متعددة لأنّ الإسلام دين فطرة.

الو اقعية في المنظور الإسلامي

لا بد أن نعرج على تعريفها الإسلامي فهي تعني في التصور الإسلامي التعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي المتيقن لا مع تصورات عقلية مجردة ولا مع مثاليات لا مقابل لها في عالم الواقع أو لا وجود لها في عالم الواقع.

ولا نقصد بها الواقعية المتعارف عليها التي في المذاهب الفنية الغربية، التي تحصر واقع الإنسان في حيز ضيق محدود، وتنسي الواقع الإنساني الكبير الذي يشمل حياة الإنسان كلها عمقاً، وزماناً ومكاناً وطولاً وعرضاً، فالأدب الإسلامي في واقعيته يرسم ما في الفرد من نقائض وعيوب وضعف وهبوط ولكن على أساس أنها شر، وعلى أنها نقائض، لا على أنها واقع وضربة لازب لا محيد عنها، ولا أمل في الفكاك منها أو الارتفاع عليها.

وفي هذا الإطار يقول سيد قطب:" ومن ثم فالأدب المنبثق من التصور الإسلامي للحياة قد لا يحفل كثيراً بتصوير لحظات الضعف البشري ولا يتوسع في عرضها، وبطبيعة الحال لا يحاول أن يبرزها فضلاً على أن يزينها بحجة أن هذا الضعف واقع، فلا ضرورة لإنكاره وإخفائه ."

وتقول نبيلة سعيد: " الواقعية في الأدب الإسلامي تصوير للحياة من جميع جوانبها، وللإنسان جسماً وروحاً وللتطورات الاجتماعية كلها سياسة كانت اقتصادية أم تربوية أم اجتماعية، تصوير للحياة البشرية للحظات قوتها وضعفها. فالواقعية في الأدب الإسلامي، لا ترسم صورة مضللة، ولا تجعل من الشر خيراً ولا من الرذيلة فضيلة، ولا من الخور بطولة، ولا تصوّر النقائض على أنها واقعية لازمة لا فكاك منها، ولكنها حالات عارضة على صفحة

Vol. 5 No. 1 | 1-15
Copyright © 2021 Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2721-5237, E-ISSN: 2549-208X

الإنسانية المشرقة، فهذا الأدب يختلف عن الواقعية المادية التي حصرت الفن في حيز ضيق محدود من الحياة في المادة فقط".

فالأدب الإسلامي يعيش الواقع والحقيقة كما يراها من خلال الإيمان والعقيدة. إنه يعيش الأحداث بأحزانها وأفراحها بآمالها، وعافيتها، وبعسرها ويسرها. لا يغيب في ظلمات الوهم، وحمي الأماني، وضلالة الأهواء والأساطير.

وفي هذا المنحى يقول الدكتور عدنان علي رضا: "إنّ الأدب الإسلامي يري الواقع من خلال رغباته ومصالحه أو أحلامه ومطامعه، إنه يرى وطنه وداره حمًى لعقيدته، حمًى متصلاً بحمي، وأرضاً متصلة بأرض، وداراً متصلة بدار. وقد بسط له الله الأرض كلها، ميداناً لأمانة وساحةً لاستخلاف. لا تقعد به قوميةٌ جاهليةٌ".

الإسلام يرى الواقع بمنظارٍ أعمَّ وأشمل، وهو الأصدقُ، هو الواقعُ البشري وهو كل ما يحدث في حياة بني الإنسان من تطورات اجتماعية واقتصادية وسياسية فكرية وروحية وتصوير هذا الواقع يراعي مكانة الفرد في حياة البشرية ولا يهمل واقع الجماعة كما يراعي جوانب القوة والضعف معاً في حياة الإنسان فلا يهمل هذه على حساب تلك.

والأدب الإسلامي حين يصور ذلك لا يرسم صورة مزورة للبشرية، بل صورة واقعية عميقة تشمل الإنسان في جميع حالاته، ولكنها لا تسلط الضوء على الشر، وتجعل منه فضيلةً، ولا تسلط النور على الضعف وتجعل منه بطولةً، ولا تغفل الجوانب العليا من حياة الإنسان (قطب، ١٩٨٣، صفحة ٩٢) (قطب س.، صفحة ١٨) (قطب س.، صفحة ١٦٣).

أما الأزمات والمحن والدماء والموت فإنما هي جاليةٌ للصدأ، شاحذةٌ للعزائم إنها فرصة للمسلم تشحنه للوثبة القادمة أو ترزقه الشهادة (ساعي، ١٩٨٥، صفحة ١١):

أخي أنت حر وراء السدود	*	أخي أنت حر بتلك القيود
إذا كنت بالله مستعصماً	*	فماذا يضرك كيد العبيد...؟
أخي إن ذرفت على الدموع	*	وبللت قبري بها في خشوع
فأوقد لهم من رفاتي الشموع	*	وسيروا بها نحو مجد تليد
أخي إنني ما سئمت الكفاح	*	ولا أنا ألقيت عني السلاح
وإن طوقتني جيوش الظلام	*	فإني على ثقة بالصباح

Copyright © 2021, Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2615-7241, E-ISSN: 2721-480X

سأثأر لكن لــرب ودين * وأمــضي على سنتي في يقين

فإما إلى النصر فوق الأنـام * وإمــا إلى الله في الخالدين (مجموعة من المصنفين، ٢٠١٧، صفحة ١١)

أما الاغتراب والهجرة والنفي عن الوطن فإنما هي وقفة مع النفس، تسترد خلالها الأنفاس وتراجع الحسابات وتتحفز للخطوة القادمة (ساعي، ١٩٨٥، صفحة ٩٢):

قالوا اعتزلت فقلت عزلة رابض * متحفز للوثبة الشّمَّــاء

إني لأرجو أن أحـاول صادقاً * في صوغ ذاتي من تقًى ومضاء

لأكون في الجُلى إذا الداعي دعا * سهماً يصيب مقاتل الأعداء

مـا عزلة الأحرار إلا عزةٌ * والصبر كل الصبر في اللأواء

الأدب الإسلامي في واقعيته يرسم ما في الفرد من نقائصَ وعيوبٍ وضعفٍ وخسةٍ وهبوط، ولكن على أساس أنها شرٌ، وعلى أنها نقائصُ لا على أساس أنها واقع وضربة لازب لا محيد عنها، ولا أمل في الفكاك منها، أو الارتفاع عليها، وهنا يبدو الفرق شاسعاً بين واقعية الالتزام الإسلامي وكل الواقعيات الأخرى فاليأس الذي أشاعته الرومانسية في هذه الواقعيات، مهما تسربل بأثواب مموهة كان يبدو واضحاً عند معظم شعرائها في كل ملمةٍ أصابت الوطن والشعب؛ إنهم يبكون حين يبكي الشعب ويضحكون حين يضحك ولكن الشعب بحاجة إلى من يمسح دموعه حين يذرفها، ويشجعه على النهوض و الاستمرار في مسيرته وهو بحاجة حين يستسلم إلى الضحك، إلى من ينبهه إلى الأخطار التي ما تزال محدقةً به.

نموذج للو اقعية في القرآن الكريم

ومن ذلك فإن الواقعية الإسلامية واقعية حضارية فاعلة تنطوي على العقل والفعل معاً، ويكون هدفها الإنسان المؤمن الموحِّد السعيد في الدارين. فليس ثمة عشق جسدي أو روحي، ولكنه العشق الذي يتلاءم تماماً مع تكوين الإنسان ومطالبه وضروراته وأشواقه. سورة التغطية زينة الإنسان، والقانون نفسه يعمل عمله في الدائرة الإسلامية التي تملك رؤيتها الخاصة لظاهرة التكشّف أو التعري، وترى-على العكس من الموقف الغربي- أن زينة الإنسان وجماليته لا تتحققان إلاّ بالتغطية، وترى في التكشّف، "عورة" أو "سوءة" يجب حجبُها عن الأنظار إذا أريد التحقق لاحترام إنسانية الإنسان (ساعي، ١٩٨٥، صفحة ٩٣).

Vol. 5 No. 1 | 1-15
Copyright © 2021 Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2721-5237, E-ISSN: 2549-208X

إذا وسعنا المنظور فإننا سنجد الحجاب -إسلامياً- يتجاوز بعده الاجتماعي والأخلاقي صوب دائرة أشمل وأبعد. إنه يحمل بعداً حضارياً، ليس فقط لكونه يحمي الطاقة البشرية من الهدر والتضييع ويعين القدرة على الإنجاز ويرفع وتائرها، وإنما وكرّم على لكونه يتجذر في البدايات الأولى، في لحظات الخلق الإلهي للإنسان الذي حُمِل في البر والبحر، المخلوقات، وأريد له أن يكون سيداً على العالمين.. إنه يتعفف ويتطهر ويتغطى.

إنَّ آدم عليه السلام وزوجه، لحظة تناولهما ثمر الشجرة المحرمة، عوقبا للحظات بالعري، ولكنهما ما لبثا أن ﴿**طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ**﴾[1].

ويكفي أن نقرأ معاً هذا المقطع من سورة الأعراف بحثاً عن الجذور الموغلة للظاهرة وعن البعد الحضاري للحجاب الذي أريد للإنسان أن يوظفه في اثنين؛ الستر والتزيّن:

﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[2]

منذ بدايات الخلق أريد للإنسان أن يتغطى ويتزيّن حيث يصير الاحتشام والحجاب مرادفين للزينة والجمال وحيث يكتسبان بعداً حضارياً. حيثما تلفتنا وجدنا الحجاب، ليس في حدوده الفقهية المنظمة فحسب، وإنما على امتداد الحياة البشرية، في كل خلاياها ومنحنياتها

[1] سورة الأعراف: ٢٤
[2] سورة البقرة: ٣٥-٤٢

Copyright © 2021, Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2615-7241, E-ISSN: 2721-480X

وممارساتها ودروبها. فإما النظافة والطهر والجمال وإما الفحش والقبح والفجور.. ولا شيء بين هذا وذاك. لا شيء وراء هذا وذاك. وليس بعد الحق إلاّ الضلال (ساعي، ١٩٨٥، صفحة ٩٣).

ويظل المنطلق إلى هذا كله، نقطة البداية لهذا كله، هو الحجاب الذي بتحققه يقوم المجتمع النظيف المتوازن الجميل، وبانهياره يجيء الزهري والسفلي والإيدز فيأكل الأخضر واليابس. وحيث لا يأمن الزوج على زوجته، ولا هذه على زوجها، ويتكاثر أولاد الحرام فلا تكاد تستوعبهم المحاضن و الملاجئ، حيث يصير الفعل الجنسي المحرم نزوة عابرة يتحتم إطفاؤها سريعاً كما يشرب الإنسان العطشان كأساً من الماء، فيما قالت به يوما تنظيرات الماركسية البائدة في بدايات تشكل الاتحاد السوفياتي المنحلّ على يد عالم النفس الماركسي المعروف "ولهلم رايخ "، وفيما دفع "لينين" نفسه بعد سنتين فقط إلى أن ينهض محتجاً ويدعو ثانية إلى الاحتشام والتعفف واحترام قوانين العائلة، وإلاّ أصبح الجيل التالي من السوفيات كله من أولاد الحرام.

فإذا كان "التعرّي" ينعكس في الواقعيات الغربية على الخصائص الفنية للمذهب ويسمها بملامح متميزة، فإن "التحجّب" في المقابل ينعكس هو الآخر على الخصائص الفنية للواقعية الإسلامية ويسمها بملامح متميزة. ليس التحجّب بمفهومه الحسيّ حسب، وإنّما بأبعاده الاجتماعية والسلوكية والنفسية والحضارية في نهاية الأمر (خليل، ١٩٩٥).

الخلاصة

في نهاية هذا البحث يستنتج أن الواقعية الإسلامية وسطية تراعي طبيعة الإنسانية وتلبي رغباتهم. ويمكنها أن تلتقي مع الواقعية الاشتراكية في جوانب ظاهرية متعددة. لذلك، تكون النظرة الواقعية الغربية على الإسلام وتعاليمه السمحة ذات خطورة عظيمة. والتداخل للخصائصَ الفنية بجميع المدرسة الأدبية. ويكون الالتزام بالواقعية الإسلامية ضروريا لأنها ضد الخيال وما يستدعيه من مواقف عاطفية.

Vol. 5 No. 1 | 1-15
Copyright © 2021 Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2721-5237, E-ISSN: 2549-208X

المراجع

القرآن الكريم

أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف الأصفهاني. (١٤١٢ هجري). مفردات غريب القرآن. بيروت: دار القلم والدار الشاملة.

إحسان عباس. (١٩٧٨). دراسة في حياته وشعره. بيروت: دار الثقافة.

أحمد بسام ساعي. (١٩٨٥). الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد. مصر: دار المنار.

حمد النيل حمد الحسن إبراهيم. (٢٠٠٨). الأدب في العصر الحديث. مصر: الدار العربية للنشر والتوزيع.

سيد قطب. (بلا تاريخ). خصائص التصور الإسلامي ومقوماتها. القاهرة: دار الشروق.

سيد قطب. (بلا تاريخ). في التاريخ فكرة ومنهاج. القاهرة: دار الشروق.

عبد الرحمن رأفت الباشا. (٢٠٠٤). مذهب إسلامي في الأدب والنقد. القاهرة: دار الأدب الإسلامي.

علي الجارم. (بلا تاريخ). ندوة الشاعر علي الجارم. القاهرة: من إصدارات مجمع اللغة العربية.

عماد الدين خليل. (١٩٩٥). في الملامح الفنية للواقعية الإسلامية. المغرب: رابطة الأدب الإسلامي العالمية - المكتب الإقليمي.

مجمع اللغة العربية. (١٩٩٢). المعجم الوجيز. مصر: جمهورية مصر العربية.

مجموعة من المصنفين. (٢٠١٧). أناشيد أبي مازن.

محمد عنيمي هلال. (٢٠٠٨). الأدب المقارن. القاهرة: دار المعارف.

محمد قطب. (١٩٨٣). منهج الفن الإسلامي. القاهرة: دار الشروق.

نبيل راغب. (٢٠١٥). المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبشية. مصر: الهينة العامة المصرية للكتاب.

Copyright © 2021, Ta'lim al-'Arabiyyah, P-ISSN: 2615-7241, E-ISSN: 2721-480X